الجمهورية التونسية

وزارة التربية

رسالة إلى مربّيات تونس ومربّيها

تستقبلون اليوم أمَلَ وطن يطلّ من عيونٍ حالمة، بعضُها يَرَاكم لأوّل مرّة وينفتح بفضلكم على عالم تدركون مُمْكِناته وبعضُها الآخر يجدّد العهد معكم على درب انتظارات عسى تتحقّق. تستقبلون أبناءنا وأنتم مُدركون أنّكم الماسكون بأياديكم مصائرَهم والمجاهدون في سبيل صنع مستقبلهم بتربيّتهم. يأتونكم بتنوّع ألوان التونسيين، منهم من قطع إليكم كلومترات متأبّطا كتبه وكراساته وكسرة يهدّدها اليبس وحلما جميلا يسعى وراءه ومنهم من يأتيكم على حال أفضل، قليلا أو كثيرا، ينشُدُ نفسَ الحلم يتقاسمه مع أقرانه، يأتونكم جميعهم بكرامة الإنسان المتأصّلة فيهم منتظرين منكم واجب إنصافهم تمارسونه من أجلهم ومن أجل راحة ضمائركم ومن أجل وطن يحتاج دوما الولاءَ الذي عهدَه فيكم. تعرفون ما يهدّدهم ومصادر الضّرر الذي يمكن أن يلحقهم كما تدركون منابع البهجة في سرائرهم وشروط الأمان الذي يريحهم. وإنّكم لقادرون، بإرادتكم، على الذود عنهم ممّا يهدّدهم وعلى توفير ما به يكتمل أمانهم ويحقّق بهجتهم بتمكينهم من أصول فنون تدريب النفس على الفضائل دون وصاية عليهم وبترسيخ قيمة العمل والكدّ فيهم، وباقتلاع منابع اليأس من نفوسهم ومقاومة الاستسلام إليه، فيقترن عندهم التمتّع بالحقّ بالقيام بالواجب ويتيسّر أمامهم درب الشّغف بالحياة والإقبال عليها بالبهجة التي يرتضونها لأنفسهم ولأقرانهم وللناس جميعا من حولهم.

لقد سلمكم المجتمع مستقبله في أبنائه وبناته ومكّنكم من أثمن ما لديه ثقة متجدّدة فيكم ويقينا بأنّ مسؤوليّتكم لا يختزلها تعليمهم القراءة والكتابة والحساب ولا تتوقّف عند تنميّة شخصيّتهم وتطوير ملكاتهم ومهاراتهم بل تتوسّع لتشمل تنشئتهم على

حبّ وطن يسعهم جميعا بألوانهم المختلفة وطموحاتهم المتنوعة ويعطيهم نفس الفرص حتى يُدركوا ما تهفو إليه نفوسهم. إنّكم أمام أطفال سيكبرون يوما ويصبحون مواطنين أحرارا، فلا بدّ أن تعلّموهم حقوقهم في هذا الوطن وواجباتهم إزاءه من أجل عزّته ورفعته. علّموهم التمرّس على الحريّة الحقّة ليكبر معهم الوعي بما يكونون به مواطنين فاعلين فيتجنّبون الأنانيّة والكسل والتواكل، ويدركون أسباب العزّة والسعادة فيقبلوا على العمل والإتقان وينفتحوا على الآخر ويطلبوا الأفضل والأعلى والأجمل، ويتولّد لديهم الإحساس بالعزّة والثقة بالنفس. علّموا أبناءنا وبناتنا قواعد الحياة الديمقراطية في المدرسة، هذا الوطن الصغير الذي يجمعهم من أجل خيرهم، وكونوا لهم قدوة في كلّ ما يصدر عنكم من أقوال وأفعال، علّموهم قواعد المواطنة والعيش المشترك واعلموا أنّ تخصيب المنافسة الشريفة بينهم لا يكون إلاّ على قاعدة التعاضد والتعاون في ما بينهم.

لا معنى للتربيّة والتعليم إن لم يفتحا أمام المتعلّمين والمتعلّمات مجال التفكير في كبريات المسائل؛ وفّروا لهم فرص تأمّل عجائب ما نسمّيه "حضارة" واشحذوا في نفوسهم إرادة الإسهام فيها بالمبادرة والابتكار ومكّنوهم من فرص ولوج هذا العالم السحريّ الذي نسميه "الفكر" عساهم يعثرون فيه على ما يستحقّ منهم المغامرة، واعلموا أن تجرئتهم على التعلّق بالطموح والإصرار يعبّد أمامهم الطريق لتحقيق أحلامهم، ففي ذلك تكمن سعادتهم وبذلك يكبر فرحهم ويتحقّق كيانهم.

إنّ للطفل حسّا رهيفا وقدرة عجيبة على التميز بيسر بين الخير والشرّ والظلم والعدل فلنستثمر تلك القدرات ولنطوّرها، لنحاورهم محاورة الكبار ولنوقظ فضولهم اللامحدود ولنأخذ بأيديهم ليبلغوا أطراف العالم، وليتّسع صدرنا لاستفساراتهم ولأخطائهم، فالخطأ ليس خطيئة بل طور ضروريّ من أطوار الترقّي، لنحسّسهم بأهميتهم ذواتٍ فرديّةً مميّزة.

إنّ أبرز ما يميّز الإنسان أنّه كائن قابل للتعلّم وبالتالي قابل للنجاح، لكن قد تكون سبل ذاك النجاح مختلفة، فلنجتهد في مساعدة التلميذ للبحث عنها وليكن يقيننا أنّ داخل كلّ طفل كنزا مخبوءا، ولنحترم اختلافهم ولندرّبهم على المسؤوليّة والاختيار.

الأطفال كالورود التي تتفتّح شيئا فشيئا بفضلكم، فلا تحرموا أنفسكم من لذّة الاحتفال بأطوار تفتّحها والاستمتاع بذيوع شذاها في الكون الجديد.

سادتي المربّين السيّدات المربّيات

يحمي الجنديّ الوطن بالسلاح ويتصدّى لكلّ من يتآمر ضدّه، أمّا المدرّس فيسيّج الوطن بالعلم ويحصّنه بالعقل ويمتّن بنيانه بالطموح ويرسّخ أركانه بالثقافة والفكر، وإنّ ذلكم البنيان لهو الأبقى.

حماة الوطن، ومهندسي مستقبله، قد لا تُبلِغ مهنةُ التدريس صاحبها مركزا ماديّا مرموقا، لكنّها تمنحه منزلة رمزيّة واعتباريّة خارقة، وتهب من يحبّها ويخلص لها رضى نادرا عن النفس ومراقي سعادة تربويّة خالصة، فطوبى للسعداء.

ناجي جلّول

وزير التربية